الفصل الثانى

قضايا العقيدة التى مسها المؤلف بالسوء

١ – قضية التهجم على الدين تتزامن مع شعار العلمانية

ذلك التهجم الذى ورد فى صفحة ١٤ تحت عنوان « نشأة الفلسفة » ، حيث يقول المؤلف : « ظهرت الفلسفة عند اليونانيين فى القرن السادس ق.م ، ولم تظهر عند الشرقيين كمصر وفارس وغيرها ، لأنهم لم يستخدموا العقل . بل استخدموا الأساطير والخرافات ، واستخدموا الدين بدلا من استخدام العقل » . وهكذا بتلك اللغة الركيكة والأفكار السقيمة تهجم على الدين وجعله مع الخرافات ، وأظهره على أنه مضاد للعقل .

وقد رد على تلك الاتهامات كثيرون نذكر منهم :

(أ) **الفيلسوف ماسون أورسيل** حيث يقول : (إن القول بأن فلسفة الشرق لا تستحق اسم الفلسفة لأنها كانت ممزوجة بالدين قول ليس له ما يبرره ، لأن التفكير الفلسفى قد امتزج بالتفكير الدينى فى شتى العصور . وإن أى محاولة للفصل بينهما تنتهى بالعجز عن فهم أى منهما[١] .

---

(١) دراسات فى الفلسفة للدكتور صلاح عبدالعليم ص ٣٨ .

(ب) **الشيخ رشيد رضا** حيث يقول : (علمنا التاريخ أنه لم تقم مدنية فى الأرض إلا على أساس الدين حتى مدنيات الأمم الوثنية كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين . وأن الدين أصل للفلسفة وما الفلسفة إلا تحوير لأصول الدين)[٢] .

ظاهرة التهجم على الدين بالكتب الدراسية يؤازرها شعار العلمانية بوسائل الإعلام :

أصبحت فكرة العلمانية تطرح علينا بشكل ملح. بمفهوم أنها تعنى الاهتمام بالعلم كطريق للتقدم . وبهذا الخلط أوحوا للناس بأن دعوتهم صنو للعلم . وأن مخالفيهم – خاصة رجال الدين – هم دعاة جهل وتخلف . فى حين أن الإسلام لا يتعارض مع العلم . وتاريخ الحضارة الإسلامية لم يظهر فيه مثل هذا الشعار . وفى هذا المعنى يقول الدكتور عبدالله اليسون (إن الإسلام كما جاء فى القرآن والسنة يتضمن حقائق علمية لا تتعارض مع علوم اليوم . وإن عددا كبيرا من علماء الغرب لو فهموا الإسلام لدخلوا فيه جميعا)[٣] .

والحقيقة أن العلمانية تعبر عن مرحلة تاريخية مر بها الغرب ويصفها **توينبى** بقوله : (ما برح العلم خلال مائتى عام ينتزع من الكنيسة مجالاتها فى الفلك والطبيعة والأحياء والنفس ...)[٤] . ولذلك فإن شعار العلمانية لم يثر لدى المسلمين إلا بواسطة أتباع الفلسفة الأوربية من أمثال مؤلفنا ، وذلك بعد الغزو الثقافى لبلادنا، والذى حاول إبعاد الدين ونادى بالتخلى عنه . ولذلك يقول د . السيد فرج (إن مصطلح العلمانية فى الغرب Secularism صار سمة لكل من يناهض الدين – أى دين) . كما ورد فى معجم العلوم الاجتماعية – أن العلمانية نسبة إلى رجل العلم وهو خلاف رجل الدين – الكهنوتى)[٥] – وهذه تفرقة مسيحية لا وجود لها فى الإسلام لأن الإسلام يزاوج بين العلم والعبادة .

الدكتور يوسف القرضاوى يفند حجج العلمانية حيث يقول : العلمانية كلمة حديثة الاستعمال فى لغتنا العربية . وهناك من ينطقونها بكسر العين نسبة إلى العلم وهو الأشهر . وهناك من ينطقونها بفتح العين نسبة إلى العالم أى الدنيا وعليه جرى المعجم الوسيط الذى أصدره مجمع اللغة العربية .

---

(٢) تفسير المنار جـ ٤ ص ٤٢٩ .
(٣) الإسلام والمذاهب الفلسفية د. مصطفى حلمى ص ٦٨ .
(٤) نفس المرجع ص ٦٨ .
(٥) الإسلام والمذاهب الفلسفية د. مصطفى حلمى ص ٧٠ .

وسواء كسرت العين أو فتحت فالكلمة مترجمة عن كلمة Secular الانجليزية ومعناها (ما ليس بدينى) ، ولكن اختيرت كلمة علمانى أو مدنى ، لأنها أقل إثارة من كلمة (لا دينى) . والمدلول المتفق عليه يعنى عزل الدين عن الدولة وإبقاءه حبيسا فى ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه . وهذا تقسيم نصرانى غربى مستورد غير معروف فى الإسلام . فالدين فى الإسلام ممتزج بالحياة كلها امتزاج بالروح بالجسد . فالإسلام لا يعرف الثنائية التى عرفها الفكر المسيحى الغربى التى تشطر الإنسان وتقسم حياته بين الخضوع لله تعالى والخضوع لقيصر، كما روى الإنجيل (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فقيصر فى الإسلام ليس ندا لله بل هو عبد يخضع لحكم الله .

وهناك دليل على أن تطبيق العلمانية عندنا معناه القضاء على الإسلام كعقيدة . وهو ما وقع بالفعل فى تركيا المسلمة، حينما أعلن كمال أتاتورك علمانية الدولة . فسلخها من دينها وعقيدتها كما تسلخ الشاة من جلدها .

ورفضنا للعلمانية ليس معناه معاداتنا للعلم ، بدليل :

١ – أن معجزة نبينا عليه الصلاة والسلام كانت آية علمية تذعن لها العقول مقتنعة وهى « القرآن الكريم » . وفى هذا المعنى يقول الله تعالى للمشركين الذين طلبوا من النبى عليه الصلاة والسلام آية حسية كما كان للأنبياء من قبل ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ .

٢ – كما يعلمنا القرآن ألا نقبل دعوى بغير برهان يثبت صحتها ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ .

٣ – كما يأمرنا القرآن بطلب البرهان فى العقليات والتجربة فى الحسيات والنقل الصحيح فى المرويات . فى قوله تعالى : ﴿ ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم أن كنتم صادقين ﴾ .

٤ – كما أن الأخلاق فى الإسلام معللة وليست مجرد أوامر تحكمية . فكثيرا ما يتبع الأمر أو النهى فى القرآن بيان الحكمة منه حتى فى العبادات المحضة كما فى قوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

وغير ذلك من الأدلة التى شحن بها القرآن الكريم لتدل على صدق الرسول وإمكان البعث وغيرها[1] .

---

(١) من مقال د. يوسف القرضاوى بجريدة الشعب ١١ . ٨٦/٣/٨ .

٢ – الادعاء بأن الفكر اليونانى هو أصل الحضارات

الادعاء بأن الفكر الفلسفى اليونانى كان أسبق فى الظهور من غيره . والذى ورد فى صفحة ١٣ يدل على تبعية الكتاب المقرر للفكر الغربى على حساب الحقائق التى يعترف بها الغربيون أنفسهم من أمثال :

○ **المؤرخ الإغريقى الشهير (ديوجين لا أرسى)** الذى عاش فى القرن الثالث ق . م ويقرر فى كتابه (حياة الفلاسفة) أن أصل الفلسفة يرجع إلى ما قبل الحضارة اليونانية . ويرد ذلك إلى الحضارات الشرقية القديمة(٦) .

○ **الفيلسوف ماسون أورسيل** يقرر أن الحضارة القديمة ولدت ونمت فى الشرق . ففى الوقت الذى لم يكن فيه اليونان إلا جهلة وبرابرة . كانت هناك حضارات لامعة زاهية على ضفاف النيل . ويؤيد هذا الرأى عالمان آخران هما جورج سارتون ، وول ديوارنت(٧) .

○ **أما توينبى** : مؤرخ الحضارات الإنسانية والذى ينتمى إلى الحضارة الغربية نفسها فيقول : (إن إظهار الفكر الإغريقى وحده بمظهر الأصالة يعبر عن انحياز عنصرى غربى إذ ينكر على غيره من الأجناس أى دور فى التراث الثقافى الإنسانى)(٨) .

○ **والدكتور سارطور** : يقرر أنه من الخطأ إهمال العلم الشرقى . حيث يقول : (إنه من سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم بدأ فى بلاد الإغريق . حيث سبقه بآلاف السنين الجهود العلمية فى مصر وبلاد النهرين وغيرهما) ثم يقول فى تواضع (إن الثقافة المستمدة من الأصلين الإغريقى والعبرى ليست أحسن ثقافة . بل إن الزعم بأنها بالضرورة أرقى الثقافات فيه خطأ وشر وهذا الزعم هو المصدر الرئيسى للمتاعب الدولية فى العالم)(٩) .

○ **أما الدكتور رجاء جارودى** فيقول : (إن هناك إنكاراً متعمداً للجذور الشرقية التى نفذت منها الحضارة الغربية(١٠) .

---

(٦) فى الفلسفة الإسلامية . د . محمد السيد نعيم ص ٢٧ .
(٧) الإسلام والمذاهب الفلسفية د . مصطفى حلمى ص ١٩ ، ٢٠ .
(٨) نفسه ص ١٩ .
(٩) نفسه ص ٢٢ .
(١٠) نفسه ص ٢٩ .

○ **أما إميل برييه** : أستاذ الفلسفة بجامعة باريس والمتوفى سنة ١٩٥٢ فيقول : (إنه من السذاجة أن يظن بأن الفلسفة اليونانية كانت نتيجة العبقرية اليونانية وحدها)[١١] كما يجب ألا ننسى أن الفلسفة اليونانية بدأت فى إقليم أيونيا بآسيا الصغرى وهو من أراضى الشرق .

○ **ويقول الدكتور مصطفى حلمى** (يكاد ينعقد إجماع الباحثين على أن حضارات الشرق أسبق من اليونان فى إنتاج ما شكل الفلسفة . ورغم هذا فإننا عندما نقوم مادة الفلسفة المستخلصة من مصادر غربية نعطى انطباعاً بأن تاريخ الحضارات يبدأ فقط من بلاد الإغريق . وأن البشرية عقمت أن تلد جنساً آخر غير الجنس الآرى[١٢] .

٣ - الغرب يقر بدور حضارتنا بل ويتنبأ بقرب عودتها أما مؤلفنا فيتعمد تشويه صورتها

فعندما جاء دور المؤلف للحديث عن حضارتنا فى صفحة ٥٨ . زور الحقائق،فلم يشر إلا إلى الجانب العلمى . وفوق ذلك نسبه إلى غير أهله . حيث لم تكن النهضة عربية خاصة كما ادعى بل كانت إسلامية عامة . بدليل أن أكثر العلماء الذين استشهد بهم كانوا من غير العرب وإن كانوا مسلمين . كما غفل عن ذكر سر عظمة حضارتنا وهو القرآن الكريم . وقد اعترف الغرب نفسه لنا بكل هذا،فمثلا مونتجمرى وات يقول : (إننا معشر الأوربيين نأبى فى عناد أن نقر بفضل الإسلام الحضارى وأثره علينا ونميل أحيانا إلى التهوين من قدره . بل ونتجاهل أحيانا هذا التأثير تجاهلا تاما . والواجب علينا من أجل إرساء دعائم علاقات أفضل مع العرب والمسلمين أن نعترف اعترافا كاملاً بهذا الفضل . أما إنكاره أو إخفاء معالمه فلا يدل إلا على كبرياء زائف) ويقول أيضا : (إن اهتمام الأوربيين بأرسطو لا يرجع إلى فلسفته . بل يرجع إلى رغبتهم فى تأكيد اختلافهم عن المسلمين)[١٣] .

وإذا كان هناك من مفكرى الغرب من اعترف بدور الحضارة الإسلامية عليهم . فإن منهم أيضا من عرف سر خلود حضارة الإسلام،ونذكر منهم جلادستون الذى قال : (ما دام هذا القرآن موجوداً فى أيدى المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق)[١٤] .

---

(١١) دراسات فى الفلسفة . د. صلاح عبدالعليم ص ٢٨ .
(١٢) الإسلام والمذاهب الفلسفية د. مصطفى حلمى ص ٣٥ .
(١٣) نفسه ص ٤١ ، ٤٥ .
(١٤) نفسه ص ١١ .

ونضيف إلى قول جلادستون قولنا بأن هذا القرآن الذى اعترف الأعداء بأنه سر تفوقنا قد ضمن الله تعالى له الخلود . وأن العاقبة للمتقين .

وأكثر من ذلك يتنبأ البير ماشدور بظهور المسلمين من جديد واكتساحهم للعالم،حيث يقول : (ولست متنبئا لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها . إن المسلم قد استيقظ وأخذ يصرخ ها أنذا لم أمت)[١٥] .

هذه هى شهادة الأعداء لحضارتنا ولقرآننا ، فما بال مؤلفنا قد اتخذ هذا الموقف المجافى للحقيقة ولدينه وأمته .

٤ - مشكلات وهمية يشقشق بها المؤلف
« غافلا عن قضايانا الحقيقية »

يثير المؤلف عدة تساؤلات غير مطروحة عندنا أصلا ، ولا هى بالملحة فى العاجل ولا فى الآجل . وبذلك أشغلنا بترهات المجتمعات الأخرى. وأغرقنا فى متاهات حلولهم الوثنية. وخرافاتهم وظنونهم التى تتناقض مع العقيدة . وتشوش عقول الشباب . ومن أمثلة تلك المشكلات ما يلى :

(أ) مشكلة الوجود

فى صفحة ١٥ وتحت عنوان « مشكلة الوجود » يتساءل المؤلف عن المادة التى افترض أن الكون خُلق منها . فانظر كيف صيغت الأسئلة لمصلحة الوثنية . فسلم الكتاب المقرر مقدماً بأن الله خلق الكون من مادة ، فى حين أن الله تعالى ليس كالصانع الذى يحتاج إلى مادة ليصنع منها . فالله تعالى منزه عن الاحتياج لمثل هذه المادة المزعومة . وهو سبحانه يخلق من العدم لقوله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ .

ولم يكتف المؤلف بهذا بل عاد ورتب عليه خطأ آخر بتساؤله عن هذه المادة المزعومة ، وهل هى قديمة أم حادثة ، ثم تسليمه بأنها قديمة . فى حين أنه لا قديم إلا الله . وهذا الزعم الباطل ورد فى صفحة ٣١ منسوباً إلى أفلاطون الذى إدعى بأن الكون خلق من مادة أولية أزلية قديمة . فانظر صفة قديمة هذه التى يجعلها موازية لصفة القدم عند الله تعالى .

(١٥) نفسه ص ١٢ .

كما زعم أيضا بأن هذه المادة أزلية وأن عناصرها أربعة هى الماء والهواء والنار والتراب . كل هذا دون تعقيب من المؤلف يوضح خطأ هذا التصور الخرافى-فالمادة المزعومة وصفت بأنها ليس لها لون ولا رائحة ولا طعم ولا حجم ولا وزن وغير ذلك من الأوصاف التى لا تنطبق إلا على العدم .

هناك إذن نقطة اختلاف جوهرية فى عقيدة الألوهية بيننا وبين فلاسفة اليونان ففكرة الخَلْقُ من العدم غريبة عنهم كل الغرابة . حيث اعتقدوا أن الله خلق الكون من مادة . وبذلك يكون الإله عندهم أقرب إلى أن يكون فنانا أو مهندس عمارة ، منه إلى أن يكون خالقاً . فالمادة فى رأيهم أبدية أزلية لم تُخلق . والذى خَلقَتهُ إرادة الله هى الصورة فقط فى زعمهم . ودور الإله كان قاصراً على التنظيم والترتيب .

وقد عارض ذلك القديس أو غسطين . حيث قال إن الوجود لم يخلق من مادة ، بل خلق من لا شيء . وأنه تعالى لم يكن أمره قاصراً على التنظيم والإدارة وحدهما(١٦) .

(ب) مشكلة التغير والثبات

حيث يتساءل المؤلف : هل الوجود متغير أم ثابت ؟

ثم ينتهى من عرض هذه المشكلة إلى القول فى صفحة ١٨ أن أكثر فلاسفة اليونان يميلون إلى القول بالتغير والحركة فى الكون .

ونلاحظ أن هذه المشكلة (أى مشكلة التغير والثبات) غريبة عنا . فنحن شعب مسلم يعبد ربا له صفات ليس من بينها صفة التغير . ولا يوجد مسلم يشك فى ذلك أما الموجودات من حولنا فهى المتغيرة (كل شيء هالك إلا وجهه) . ولا يوجد شيء ثابت إلا الحقائق الإيمانية . فلماذا يثير الكتاب هذه المشكلة ويجعلها فى مقدمة المسائل المطروحة ؟

وللإجابة على هذا التساؤل . ولإظهار سلبيات هذه القضية . ننبه إلى أن القائلين بالتغير من فلاسفة اليونان مثل هيرقليطس لم يقولوا بالتغير على إطلاقه بل جعلوه قاصراً على المادة (منظور الطبيعة) . أما العقل الإلهى أو اللوغوس فقد قال عنه هيرقليطس بأنه ثابت (منظور الحقيقة) .

نقول إنه رغم هذا فقد ظهرت اتجاهات فى الغرب منذ عصر النهضة تنادى بالتغير فى كل شيء حتى فى منظور الحقيقة . وبذلك جعلوا الدين وغيره من القيم تابعا ذليلا لفكرة

---

(١٦) الإسلام والمذاهب الفلسفية د . مصطفى حلمى ص ٣٨ عن تاريخ الفلسفة الغربية لرسل جـ ٢ ص ٨٠ .

التغير والتطور . أما أمتنا الإسلامية فقد ظهر فيها اتجاهات متأثرة بموقف الغرب من فكرة التطور والتغير حتى فى الدين والقيم الثابتة،حيث يقول البعض صراحة إن الدين خرافة لا يصح أن يعيش فى عصر التطور . والبعض الآخر لا يجرؤ على مهاجمة الدين صراحة فيهاجمه تحت ستار مهاجمة الأفكار الرجعية ، فهو مثلا لا يستطيع أن يقول إن الله تعالى – رجعى لأنه يقصر زينة المرأة على زوجها ولكنه ينسبه إلى رجال الدين . ويصف أفكارهم بأنها رجعية بالية ينبغى تغييرها لتتمشى مع روح العصر والتطور الحضارى ..

وجماهيرنا المسلمة حيال هذه الدعاوى تجد بعضهم قد خرج من الدين صراحة . وبعضهم يتدين من داخله فيصلى ويصوم وقد يزكى ويحج ولكنه يمارس الحياة بمفهوم التطور ، فيترك بناته مثلا يلبسن فوق الركبة ويخالطن الشبان . وهناك بعض آخر يتجمد فى تحجر على مفاهيم يظنها من الدين فيخاصم الحياة من حوله . والبعض الآخر يظلون فى حيرة لا يدرون ما يصنعون .

كل هذا يسبب تأثرنا بدعاوى غربية حول التغير وعدم الثبات حتى فى الدين وقيمه .

٥ – الخوض فى صفات الله تعالى دون ضوابط

(أ) فساد قولهم بقدم العالم

هذا الرأى الفاسد قاله أرسطو وعرضه الكتاب المقرر المهزوم أمام الفكر الغربى ، بعد أن دعمه بحجج أرسطو الواهية ودون أى ذكر للحجج المضادة التى تحفظ العقيدة .

ففى صفحة ٣٨ تحت عنوان « قدم العالم » ادعى أرسطو بأن العالم قديم . وهذا زعم باطل لأن المفروض أن يكون الله وحده هو القديم وما دونه حادث . لأن الخالق لابد وأن يكون أقدم من المخلوق . (هو الأول والآخر ...) أى لا أول ولا قديم سواه . والقول بغير ذلك ينفى عن الله صفة الخلق وغيرها من الصفات والأسماء الحسنى .

وقد عرض الكتاب دليلا هزيلا لأرسطو يحاول فيه إثبات قدم العالم فقال : (إن الإله لا يسبق العالم فى الوجود الزمنى ، وإن كان يسبقه فى الوجود الفكرى ، مثلما تسبق المقدمة النتيجة فى الوجود الفكرى) . وهذا خطأ،لأن تشبيه العلاقة الزمنية التى بين الخالق والمخلوق بالعلاقة الزمنية التى بين المقدمة والنتيجة يعتبر مغالطة . لأنه إذا جاز القول بأن النتيجة متضمنة فى المقدمة منذ البداية فلا يجوز القول بأن المخلوقات متضمنة فى الخالق منذ البداية . وإلا صار الخالق مخلوقا والمخلوق خالقا والصانع مصنوعا والمصنوع صانعا،والعلة معلولا . وغير ذلك من تناقضات القائلين بوحدة الوجود . وسبب خطأ أرسطو يرجع إلى اعتقاده بأن القول بحدوث العالم يتعارض مع صفة القدم لقدرة الله . والحقيقة أن أرسطو لم يدر أن الله

صفة أخرى غير صفة القدرة وهى صفة الإرادة وأن العالم ليس قديما ولكنه حادث بإرادة اقتضت وجوده فى الوقت الذى وجد فيه .

وفى هذا المعنى يقول ابن تيمية (إذا احتكمنا إلى الفلسفة الصحيحة المبنية على المعقولات المحضة فإنه من السهولة دحض اعتقاد أرسطو فى قدم العالم . فإن العقل الصحيح لا يدل على قدم شيء من العالم . لأن العقل يدل على أن الرب لم يزل فاعلا (يخلق شيئا بعد شيء فيكون كل ما سواه مخلوقاً محدثاً)[١٧] .

أخطاء ترتبت على القول بقدم العالم

القول بقدم العالم أدى باليونانيين إلى القول بقدم صفات الأشياء وثباتها،وأن ثباتها نابع من ذاتها أو من طبعها . والحقيقة أنها ليست ثابتة مثل أى مخلوق كتب عليه الفناء (كل شيء هالك إلاوجهه) والدليل على أن ثبات الأشياء ليس من ذاتها أو طبعها هو انقراض بعض أنواع الحيوانات . ولذلك نقول إن الله تعالى وليس الطبع أو الطبيعة هو الذى يملك أن يزيد أو ينقص فى الأشياء لقوله تعالى : ﴿ يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ وهناك أمثلة كثيرة على أن الصفات الجوهرية للأشياء ليست ثابتة على طريقة اليونان . فمثلا عصا موسى عليه السلام تبدلت إلى حية . والنار غيرت طبعها مع إبراهيم عليه السلام .

(ب) نفيهم قدرة الله على الفعل والخلق ...

ساق الكتاب فى صفحة ٣٨ أدلة أرسطو المتهافتة التى يحاول أن يبرهن بها على أن الله تعالى ليس علة فاعلة فى تحريك العالم . لأن هذا يقتضى فى زعمه أن يمس الله العالم . وهذا بالتالى يتطلب أن يكون الله تعالى جسما . وهو ليس بجسم . لذلك فالإله عند أرسطو ليس علة فاعلة فى تحريك العالم ولكنه علة غائية . أى أن الكون يتحرك بفعل عشقه لله وشوقه لمحاكاته ، دون أن يعلم الله عن هذا الكون شيئا . مثل تحركنا بالدهشة أمام صورة جميلة ، وهى لا تعلم عنا شيئا . وباختصار يرى أرسطو أن العشق والشوق إلى الله هو العلة الفاعلة فى تحريك العالم وأن الأشياء تخلق أثناء تحركها بالشوق إليه تعالى.وهو لا يدرى عنها شيئا – حاشا لله– والحقيقة أن الله تعالى علة فاعلة ومنشئة ، فهو جل شأنه فعال لما يريد . أما سبب نفى أرسطو كون الله فاعلاً ، فيرجع إلى اعتقاده بأن ذلك يحتاج إلى أن يمس الله العالم حسياً ، فى حين أن ذلك ليس بلازم ، بدليل أن الأقمار الصناعية تتحرك دون هذا التماس الحسى من المحرك .

---

(١٧) الإسلام والمذاهب الفلسفية د . مصطفى حلمى ص ١٣٨ .

وأكثر ما أثار غضب ابن تيمية من تلك العقيدة الباطلة التى تنفى قدرة الله على الخلق والفعل أنها تعلل أسباب الحوادث بالحركات الفلكية . أى تنسب الخلق وغيره من الأفعال إلى حركات الكواكب . وقال ابن تيمية إن الله تعالى وحده هو الخالق لكل شيء . ولا يجوز إضافة الخلق إلى مجرد الحركات الفلكية . فأهل البلد الواحد تختلف أحوالهم مع أن طالع البلد لم يختلف « فلكيا » . ومن قال بأن الحوادث التى تحت الفلك ليس لها من سبب إلا تغير أشكال الفلك يعد من أفسد الأقوال . ويعتبر من قال هذا من أكثر الناس جهلا وكذبا وتناقضا وحيرة . وقد وصفهم ابن تيمية بأنهم مشركون ومن عبدة الكواكب هم ومن قلدهم فى هذا القول كابن سينا والفارابى وغيرهما[١٨] مما سنفصله فى موضعه .

ثم قال إن الذين اثبتوا فاعلا مستقلا غير الله – كالفلك – كما فعل أرسطو وغيره من الذين جعلوا الحركات الحادثة ليست مخلوقة لله . فإن فيهم من الشرك ما ليس فى مشركى العرب الذين كانوا يقرون بأن الله تعالى خالق كل شيء . ولم يقروا للأصنام بذلك بل جعلوا الأصنام مجرد وسائط فى العبادة حيث اتخذوهم شفعاء . وقالوا إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى[١٩] .

(جـ) فساد قولهم بأن الله علة غائية (صفحة ٣٧)

أرسطو يصف الله تعالى بأنه علة غائية للحركة الفلكية . بمعنى أن الفلك يتحرك للتشبه به حباً وعشقاً . وإله أرسطو لا يدرى عن هذا الفلك ولا عن عشقه شيئا .

ويقول ابن تيمية إن العقيدة الصحيحة هى التى تجمع بين (حب الله . والافتقار إليه) وهو ما يسميه بتوحيد (الألوهية والربوبية) . الألوهية معناها أن الله محبوب لذاته . والربوبية معناها أنه هو الرب الخالق الرازق ... والألوهية مشتقة من الوله أى المحبة من شغاف القلب . ولذلك قدم اسم الله على اسم الرب بفاتحة الكتاب (الحمد لله رب العالمين) . ولا يجوز أن نكتفى بالحب كما ادعى أرسطو فى قوله بالعلة الغائية .

(د) فساد قولهم بأن الله لا يفكر إلا فى ذاته ...

أبرز الكتاب المقرر فى صفحة ٣٧ مزاعم أرسطو التى يقول فيها إن الله تعالى لا يفكر إلا فى ذاته وإنه لم يخلق العالم ولا يعتنى به ...) فتأمل تلك النقائص التى وصف بها الله عز وجل . رغم أنه فى موضع آخر يصف الله تعالى بالكمال وينزهه عن النقص ولكنه عندما أتى

---

(١٨) الإسلام والمذاهب الفلسفية د . مصطفى حلمى ص ١٣٦ .

(١٩) نفسه ص ١٣٧ .

بالأدلة لإثبات هذا الكمال وقع فى التناقض وحدث الزيغ . ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ ومن النقائص الأخرى التى وصف بها الله تعالى قوله بأن الله تعالى علة أولى،ولكنها غير فاعلة وغير منشئة . فكيف خلق الكون إذن ؟ وكيف يبقى إذا لم يكن للإله حظ فى تدبير أموره والعناية به ؟ كما أن أرسطو جعل الإله محركاً جاهلاً لا يعلم إلا نفسه ، وقائداً أعمى لا يعقل إلا ذاته . وغير ذلك من السخافات التى نقده فيها تلاميذه(٢٠) .

وفى هذا المعنى يقول الدكتور مدكور (لم يعن أرسطو كثيراً بمعرفة الله . ولم يعول عليه فى قوانينه الأخلاقية والسياسية . وكأنما شغل بالعالم الحسى وحده دون أن يفكر فى قوة خارجة تدبره)(٢١) .

كما يقول ابن تيمية (أغلب فلاسفة اليونان إن لم يكن كلهم من أبعد الخلق عن معرفة الله وأمره وصفاته وأفعاله . وقد انتقلت نظرياتهم إلى فلاسفة المسلمين . فأخذوا منهم آراءهم دون تمحيص . بل أن ابن سيناء ابتدع كلاما فى الوحى والمنامات لم يقله اليونانيون مما سنفصله)(٢٢) .

ويقول ابن الجوزى : (إن الخطأ فى نظريات الفلاسفة هو الانفراد بآرائهم وعقولهم والتماس الحقائق الغيبية منها . بينما المصدر الصحيح للغيبيات هم الرسل والأنبياء)(٢٣) .

٦ – خرافات أخرى يلبسها الكتاب ثوب العقيدة

(أ) ظنون سقراط

أولا : شعاره اعرف نفسك بنفسك : ص ٢٣

حول هذا الشعار تدور فلسفة سقراط التى تنادى بالاهتمام بالإنسان وحده. وهذا يخالف منهج القرآن الكريم الذى يهتم بالإنسان وغيره . فدائرة النظر فى الإسلام تتسع لتشمل ملكوت السماوات والأرض،مثل تأمل وظائف النحل،وتصريف الرياح،وتعاقب الليل والنهار، وغير ذلك من عجائب المخلوقات . ومعرفة القوانين التى تضبط وتنظم تلك الظواهر تزيد الإيمان والخضوع لله تعالى . لأنها من الأدلة والبراهين على وجود الله .

---

(٢٠) فى الفلسفة الإسلامية . د. محمد السيد نعيم ص ٧٧ .
(٢١) الإسلام والمذاهب الفلسفية د. مصطفى حلمى ص ١٠٠ .
(٢٢) نفسه ١٠٢ .
(٢٣) نفسه ١٠١ .

ثانيا : شعاره الفضيلة علم والرذيلة جهل : ص ٢٤

بهذا التعريف يوحد سقراط بين الفضيلة والمعرفة . حيث يدعى بأن المعرفة وحدها تكفى لإصلاح الأخلاق . أى أن سقراط يتصور أن مجرد العلم بالفضيلة كاف للاندفاع إلى ممارستها . وإن الوقوع فى الشر لا يكون إلا عن جهل . وقد عارض هذا الرأى لسلبياته كثيرون . ورغم ذلك لم يشر الكتاب المقرر إلى شيء منها .

ومن الذين نقدوا هذا الرأى العالم الفرنسي « سانتهلير » الذى قال إن العلم والفضيلة ليسا متماثلين . فقد يعلم الإنسان ولا يعمل . وقد يعمل ضد ما يعلم . كما يرى أن الرذيلة لا تنشأ عن الجهل،بل تنشأ عن فساد الأخلاق الذى يجعل الإنسان يفضل الشر على الخير وهو عالم بهما(٢٤) .

وبالمثل يرى الإسلام أن الرذيلة تقع من الجاهل كما تقع من العالم لقوله تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إله هواه وأضله الله على علم ﴾ . إلا أن الإسلام يرى أن وقوع الرذيلة من العالم يهبط بعلمه إلى مستوى الجهل . لقول مجاهد (كل من عصى الله خطأ أو عمدا فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب) . لذلك فالإسلام لا يعتد بالعلم النظرى،ولا يسميه علما إلا إذا اقترن بالتقوى والخشية ومراقبة الله . لقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر ٢٨] ولقول عبدالله بن مسعود (ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية) .

وبذلك يزاوج الإسلام بين العلم والخشية . كما يزاوج بين المعصية والجهل . ولكن بمفهوم مخالف لسقراط ومبرأ من سلبياته .

وخلاصة القول إن سقراط قد غالى فى وصفه فابتعد عن الطبيعة الإنسانية التى يلازمها الخطأ عن علم وعن جهل (كل بنى آدم خطاء) .

وفى هذا المعنى يقول ابن تيمية (إن من أسباب زلل الفلاسفة اعتقادهم أن النفس تكمل بمجرد العلم . فى حين أن للنفس قوتين : قوة علمية نظرية وقوة إرادية عملية. ولابد لها من كمال القوتين (أى معرفة الله + عبادته) والعبادة تجمع بينهما) . ويقول أيضا (إن صلاح الإنسان فى الواقع لا يتحقق بمجرد العلم بالحق دون أن يحبه ويتبعه . والسعادة لا تنتج عن العلم بالله علما نظريا . إذ لابد أن يتبعه بالأعمال العبادية ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾)(٢٥) .

---

(٢٤) دراسات فى فلسفة الأخلاق د . محمد عبدالستار ص ٣١٣ .

(٢٥) الإسلام والمذاهب الفلسفية . د . مصطفى حلمى ص ١٤١.

(ب) ظنون أفلاطـــون

أولا : تفضيله عالم المثل العقلى على العالم المحسوس : ص ٢٩

أفلاطون ينقد الحواس وكل ما يتصل بالإدراك الحسى . لأنه فى زعمه يفيد الظن وما أبعد هذا القول عن تعاليم القرآن الذى يعد السمع والبصر من أجل نعم الله على عباده .

ويقول الدكتور محمد إقبال : بأن القرآن الكريم تتجلى فيه النظرة الواقعية . فى حين تميزت الفلسفة اليونانية بالتفكير النظرى المجرد وأغفلت الواقع المحسوس . ويقول : بأن القرآن لا يستحسن الكليات العقلية المجردة . بل يعنى دائما بالشخص المعين الذى لم تضعه الفلسفة موضع الاعتبار إلا حديثا على يد النظرية النسبية . فالمعرفة كما يوضحها القرآن يجب أن تبدأ بالمحسوس . وهذا واضح فى الاتجاه التجريبى العام للقرآن الكريم(٢٦) .

ثانيا : هل الطبيعة لها قدرة على الخلق والإيجاد ؟

لماذا استخدم فى صفحة ٣٠ عند شرح عالم المثل عبارة (كل شىء طبيعى أوجدته الطبيعة له مثال ؟) فهل الطبيعة حقا لها هذه القدرة التى لا ينبغى أن تكون إلا لله ؟

ثالثا : ظنون أخرى لأفلاطون :

١ – ظنه بأن الكون خلق من مادة أولية قديمة . وذلك يتعارض مع صفة القدم لله تعالى . كما أن ما عدده من صفات لتلك المادة فى صفحة ٣١ ليس إلا خرافات .

٢ – ظنه بأن هناك نفس كونية تحرك العالم غير الله تعالى ص ٣١ وهذه أيضا ليست إلا ظنون وخرافات .

٣ ـ قوله بأن الله (مثال الخير) يشبه الشمس. وهو تشبيه باطل لأن الله تعالى ليس كمثله شىء . ولأن الشمس تتحرك دون إرادة منها فى حين أن لله تعالى قصد وإرادة ... وللأسف نقل ابن سينا عن أفلاطون هذا التشبيه الفاسد حينما قال فى نظرية الفيض أو « الخلق » فى صفحة ٥٧ (إن الوجود يصدر عن الله مباشرة كما يصدر النور عن الشمس) .

---

(٢٦) الإسلام والمذاهب الفلسفية . د . مصطفى حلمى ص ١٠٥ .

جـ – الإيمان بوحدة الوجود (وفسادها)

عرض المؤلف عقيدة الإيمان بوحدة الوجود عند كل من هيراقليطس وتوما الإكوينى دون الإشارة إلى انحرافها. فمثلا إله هيرقليطس لا يطيب له المقام إلا فى النار . ومن هنا جاءت عقيدة الإيمان بوحدة الوجود عنده ، أى الاتحاد بين الخالق « وهو الله » والمخلوق (وهو النار) فى زعمه . والإسلام لا يؤمن بوحدة الوجود بل يفرق بين الخالق والمخلوق .